" من عوامل تخلف الأمة تحريف المصطلحات عن معناها الشرعي في السنة النبوية"

د. محمد القضاة

كلية الشريعة/ جامعة جرش- الأردن

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

إن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على سيدنا محمد ﷺ كاملاً غير منقوص، من تمسك به اهتدى، ومن ابتعد عنه فقد ظل وغوى، وخسر الدنيا والآخرة. قال تعالى : " وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً "[1]، ومن ابتعد عن منهج الله تعالى فقد خسر خسرناً مبيناً، قال تعالى:" وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* "[2]، وقد وضع القرآن قاعدة للمسلمين إن تمسكوا بها عاشوا حياةً سعيدة، وإن أعرضوا عنها عاشوا في رعب وقلق وخوف. قال تعالى : " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ * "[3] .

ويأتي مؤتمر كلية الشريعة بعنوان '' حاضر العالم الإسلامي '' عوامل التخلف والنهوض لنضع أصابعنا على عوامل التخلف والنهوض، فعوامل النهوض في الإسلام وعوامل التخلف في الإسلام يكون في الابتعاد عن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة كما ذكر ذلك القرآن الكريم .

والأمة الإسلامية مرت بأطوار قوة، ثم من بعد قوة ضعفاً، ونحن نعيش على أمل النهضة من جديد، والأمة الضعيفة مولعة بتقليد الأمة القوية، ونحن نعيش الآن في فترة الضعف، ولذا نجد كثيراً من المفاهيم الإسلامية حرفت وبدلت نتيجة ضعفنا، ودُعمت من الأنظمة العلمانية في عالمنا الإسلامي مستعينة بالعالم الصليبي اليهودي، وفي هذا البحث سأتكلم عن نماذج من

---

1 المائدة : ٣ .

٢ طه : ١٢٤ – ١٢٦ .

٣ النحل : ١١٢ .

الانحـــراف الذي حصل عند المسلمين في جوانب مختلفة فكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية، وقد قسمتُ بحثي إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول : الانحراف في الجانب السياسي والعسكري .

المطلب الثاني : الانحراف في الجانب الفكري .

المطلب الثالث : الانحراف في الجانب الاقتصادي .

المطلب الرابع : الانحراف في الجانب الاجتماعي .

المطلب الأول

الانحراف في الجانب السياسي والعسكري

لقد انحرفت مفاهيم كثيرة عن معناه الشرعي وغيّرت وبدّلت حتى أصبحت غريبة أحياناً عند المسلمين وفيما يلي بعضاً منها :

١) الخلافة واستبدالها بأسماء أخرى:

لقــد نســـي المسلمون معنى الخلافة، فلا تكاد تنكر في أجهزة الإعلام أو في المدارس والجامعــات، بــل وضعت ألفاظ مكانها تدرس منذ نعومة أظفار التلاميذ في المدارس حتى الجامعات، وفي أجهزة الإعلام كذلك، فأصبحت تذاع على الناس صباح مساء، وهذا المعنى أدى إلـــى وجود دويلات وممالك هزيلة لا تسمن ولا تغني من جوع، وأصبحت أمراً واقعاً فرضها على المسلمين الاستعمار الصليبي في اتفاقية سايكس بيكو، ثم هذه الدويلات مرشحة للازدياد، والعداء بين أمرائها على أشده، يلعن بعضهم بعضاً يقول ﷺ:''سيكون بعدي أمراء يقتــتلون على المُلك يقتل بعضهم بعضاً'' [٤]، ويقول في حديثٍ آخر: ''من اقتراب الساعة ... وكثرة الأمراء وقلة الأمناء''[٥].

فأصبح التفرق وكثرة الأمراء والعداء بينهم والقتال على الحدود أمراً ظاهراً، وخاصة بعدما سُــميَ بالاستقلال عن الاستعمار، فكل عشيرة لها دولة، وهؤلاء الأمراء غير قادرين على

٤ المصنف حـ٦ : ٩. ٦ ، مجمع الزوائد حـ٧ : ٣٩٢ _ ٣٩٣ .
٥ كنز العمال حـ١٤ : ٢٢٠ .

الاتحـــاد لأن الأمر ليس بأيديهم، والنبيﷺ قال:"إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما" [٦]، وأصبح من يطالب بالخلافة مجرماً خارجاً عن القانون.

٢) **بيع الحكم واعتبار الخيانة دبلوماسية**

ومـــن الأمـــور التـــي حـــرّفت وغيرت بيع الحكم للكفار، واعتبار ذلك دبلوماسية ومراعاة لمصلحة الأمة وذلك حتى يبقى الحاكم حاكماً صورياً لا يملك من أمره شيئاً . يقولﷺ: (إذا كانت الألسن لينة، والقلوب جنادل ... وبيع الحكم بيعاً) [٧]، فالحكم أمانة يجب على الحاكم المحافظة عليها ولكن بسبب التخلف في العالم الإسلامي أصبح بيع الحكم للكفار تجارة وهو الأســـاس . فالحـــاكم حتـــى يصل إلى الحكم ويستقر فيه لا بد له من أن يكون تابعاً لليهود والنصارى .

فالخـــيانة أصـــبحت دبلوماسية، ومصلحة للأمة، فهو يبيع بلده بثمن بخس مقابل بقائه على كرسي الحكم سنوات، وهذا ينطبق على كثير من الموظفين، فالموظف الذي يريد أن يترقى في وظيفته، لا بد له من أن يبيع دينه بثمن بخس لمن هو فوقه، ولا بد له من أن يدخل في جمعيات مشبوهة حتى يترقى في منصبه.

ثم إن من الخيانة بيع حكم الله، أي التشريع المنزل من عند الله واستبداله بالقوانين الوضعية، مـــن فرنسية وإنجليزية واشتراكية وغيرها، فأصبح تشريع الله مستهجناً عند الحكومات وهو في نظرهم غير صالح لعصرنا الحاضر.

٣) **الرشوة في الحكم**

ومن مظاهر الانحراف في العالم الإسلامي الرشوة في الحكم ، فالحاكم يأخذ الرشوة والحاكم يعطي رشوة لمن دونه حتى يشتريهم فلا يخالفوه، كان ﷺ يتخوف على أمته من ست خصال :" إمـــرة الصبيان ، وكثرة الشرطة ، والرشوة في الحكم ، وقطيعة الرحم واستخفافاً بالدم" [٨]، فالحديث يشير إلى إمرة الصبيان؛ فالصبي لا يعرف شيئاً، ولكنه الآمر الناهي في الدولة رغـــم حداثة سنه وقلة خبرته، والذين من حوله يلعبون به شرقاً وغرباً وليس له من الأمر شيئاً.

---

٦ انظر صحيح مسلم : جـ ٢٣٣ .
٧ إتحاف الجماعة : ٣٥٩ .
٨ المصنف لابن أبي شيبة جـ٨ : ٧٠١ .

ثـــم كثـــرة الشرطة، لأن الدول الإسلامية بأمر من المستعمر الكافر يسرحون الجيوش التي أعـــدت للقتال، ويتم استبدالها بالشرطة التي تحافظ على نظام الحكم، فهي تحمل العصا في وجـــه الشعوب، وهي التي تكبح وتسجن الناس وتعذبهم وتقتل وتعتقل، قال ﷺ:''سيكون في آخـــر الـــزمان شـــرطة يغـــدون في سخط الله ويروحون في سخط الله ''[٩] . وفي رواية أخرى:''بادرْوا بالأعمال خصالاً ستاً إمرة السفهاء وكثرة الشرطة''[١٠] .

٤) **ظهور الشللية**

ومن أسباب الانحراف للأمة عن مسارها الشللية يقول ﷺ:''إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكـــرونها''[١١]، فالأثرة ستكون في المال فمن سار مع الحاكم فالمال يغدق عليه، ومن كان مـــع المســـؤول فالمـــال لـــه كذلك، والأثرة في المناصب والوظائف، فالذي يستأثر بها هم مجمـــوعة من الناس عبارة عن عصابات من كان معهم على باطلهم وضلالهم فله ما أراد، ومـــن لم يكن معهم على باطلهم وظلالهم فهو محروم من حقه، فالرجل المناسب يوضع في المكان غير المناسب والعكس هو الصحيح.

٥) **ظهور الكذّبة والخونة ومن لا يُعرف له أصل**

ومـــن أسباب انحطاط الأمة المسلة وتخلفها في هذا العصر، وجود عدد هائل ممن يستلمون زمام الأمور في الأمة الإسلامية يتصفون بصفات أصبحت ملاصقة لهم كما حددها النبيﷺ، وهـــذه الصـــفات تهـــدم الأمـــة ولا تنهض بها، ومنها قولهﷺ: "سيأتي على الناس سنوات خـــداعات، يصـــدق فـــيها الكذاب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة "[١٢].

وفي رواية : " قيل : وما الرويبضة ؟ قال : الفاسق يتكلم في أمر العامة "[١٣].

وفي رواية : " إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة "[١٤] .

---

٩ المعجم الكبير للطبراني حـ٨ : ١٦٠ .
١٠ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حـ٢ : ٦٧٢ .
١١ فتح الباري حـ١٤ : ٤٩٣
١٢ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني حـ٤ : ٥٠٨
١٣ كنز العمال حـ١٤ : ٢٢١
١٤ كنز العمال حـ١٤ : ٢٢١

وفي رواية : " وأن يعلوا التحوت الوعول". قيل : وما التحوت ؟ قال :"فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يرفعون فوق صالحهم "[١٥] .

وفي رواية : " لكل دولة نصيب فللأشراف على الصعاليك دولة، ثمَ للصعاليك وسفلة الناس في آخر الزمان دولة حتى يدال لهم من أشراف الناس "[١٦].

وفي رواية : "قيل وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال:"المرء التافه يتكلم في أمر العامة"[١٧].

وفي رواية : "قيل : وما الرويبضة ؟ قال : السفيه ينطق في أمر العامة "[١٨] .

وفي رواية : "الفويسق يتكلم في أمر العامة"[١٩] ، وغيرها من الروايات التي تبين لنا صفات من يتولى أمر المسلمين والتي تختلف اختلافا جوهرياً عن صفات الحاكم الصالح، فالحاكم الصالح يجب أن تتوافر فيه الأمانة والقوة والعلم والدين والقدرة على إدارة شؤون الأمة في الداخل والخارج ولكن وعند الانحراف عن منهج الله سيتم تفريغ هذه الصفات من مضمونها ومعناها الحقيقي وسيحل محلها أمور أخرى فالأمناء الأقوياء والعلماء العاملون الذين كانوا يسوسون الأمة سيحل محلهم الصعاليك وسفلة الناس والرجل الوضيع، والرجل الدخيل الذي لا يعرف لـه أصل ومن فرض على المسلمين فرضاً ورديء الرجال، ومن لا يزن قشرة شعيرة، والرويبضة والتافة من الرجال، ولكع بن لكع، والفاسق، وسفلة الناس ورذالهم والمنافقين، والفويسق والأشرار وغيرهم الكثير الكثير وهذا مما ابتليت به الأمة في عصرنا الحاضر، كان سبباً أساسياً في انحطاط المسلمين وضعفهم وتراجعهم وجرأة عدوهم عليهم.

٦) **الأئمة المضلون**

هؤلاء القادة غيروا مفهوم الإمامة تغييراً كاملاً، فبدل أن يكونوا هداة مهديين، أصبحوا ضالين مضلين يقولﷺ :"يكون عليكم أمراء يعذبونكم ويعذبهم الله "([٢٠])، وفي رواية : "لا تزالون بخير ما لم يكن عليكم أمراء لا يرون لكم حقاً إلا إذا شاءوا "([٢١]).

١٥ مجمع الزوائد جـ٧ : ٣٢٧
١٦ الفتن لابن حماد : ١٦٢
١٧ تهذيب الخصائص الكبرى : ٣٣٣
١٨ كنز العمال جـ١٤ : ٢٢٩
١٩المستدرك للحاكم جـ٤ : ٥١٩
٢٠المصنف لابن عبد الرزاق جـ٨ : ٦٣٣
٢١المستدرك للحاكم جـ٤ : ٤٣٥

وفي رواية: " يا أبا عبد الرحمن متى أضل وأنا أعلم. قال : إذا كان عليك أمراء إذا أطعتهم أدخلوك النار وإذا عصيتهم قتلوك "([22]). ويقولﷺ:"يكون عليكم أمراء يتركون من السنة مثل هـذا، وأشار إلى إصبعه، وان تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى، وإنها لم تكن أمة إلا كان أول ما يتركون من دينهم السنة وآخر ما يدعون الصلاة ولولا أنهم يستحيون ما صلوا"([23])، وفـي روايـة لكعـب بـن عجرة قال له النبيﷺ:"أعاذك الله يا كعب بن عجرة من إمارة السـفهاء".قـال: وما إمارة السفهاء؟قال :"أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهدي ولا يستنون بسنتي".[24]

٧) **الجور في الحكم هو العدل عندهم :**

لقـد حرف معنى العدل فأصبح الجور عدلاً، والعدل جوراً وظلماً، قالﷺ:(يأتي على الناس زمان أكثرهم وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الذئاب الضواري، سفاكون للدماء لا يرعون عن قبيح فعلوه ... ويجورون عليهم في حكمهم)[25] فإذا طلب الناس منهم حقهم الذي فرضـه الله لهـم قتلوهم، ودمروا مدنهم وقراهم، وأبيدت حيواناتهم واستبيحت أعراضهم ، وصودرت أموالهم ، وعاشوا في فقر مدقع وذل كبير.

٨) **السكوت لا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :**

لقد قيل هذا عصر السكوت ومن قال الحق يموت ، وهذا هو التحريف بعينه فأصبح السكوت هو الأصل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو جريمة بحد ذاتها قالﷺ: (ويل للعرب مـن شـر قـد اقتـرب، إمارة الصبيان إن أطاعوهم أدخلوهم النار، وإن عصوهم ضربوا أعناقهم)[26] وفي رواية قال عبد الرحمن بن بشر: (جاء رجل إلى عبد الله فقال : متى أضل؟ فقـال : إذا كـان علـيك أمـراء إن أطعتهم أضلوك، وإن عصيتهم قتلوك)[27] ، فإذا أمرت بالمعـروف ونهيت عن المنكر فأنت ضال مضل مصيرك السجن والقتل، وإن داهنت فأنت في أمان .

٢٢المستدرك للحاكم جـ٤ : ٤٥٦

٢٣المستدرك للحاكم جـ٤ : ٥١٩

٢٤ المصنف لابن عبد الرزاق جـ١١ : ٣٤٦

٢٥ كنز العمال ، ط١ : ٣٨٥ .

٢٦ المصنف لابن شيبة ، ج٨ : ٦١١ .

٢٧ المصنف لابن أبي شيبة ، ج٨ : ٦١٠-٦١١ .

٩) السوط بدل الحوار

إن الـــباطل ضـــعيف لا يستطيع أن يحاور الحق فالحق سرعان ما ينتصر على الباطل مما يجعل الباطل وأهله ينقضون بقوتهم على من يحاورهم بالقتل والتعذيب والنفي والتشريد قال ﷺ:"صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ..)[٢٨]، وعن حذيفة بن اليمان قال : (لفتنة السوط أشد من فتنة السيف. قالوا : وكيف ذاك؟ قال: إن الرجل ليضرب بالسوط حتى يركب الخشبة)[٢٩]، فمن التغيير الذي حصل وأدى إلى انحطاط المســـلمين فتـــنة السوط ، فالسوط هو المتكلم ، ولغة الحوار هي السوط ، والحوار الفكري ممـــنوع فالقمع هو الأساس ، والتعبير عن الرأي جريمة ، وإظهار الحقائق خيانة وخروج عـــن القانـــون بـــل أصبح أناس متخصصون باستخدام السياط وأساليب التعذيب يبعثون في دورات خارج البلاد حتى يتقنوا هذا الفن يقولﷺ: (إن طالت بك مدة يوشك ، أن ترى قوماً يغـــدون فـــي سخط الله ويروحون في لعنته في أيديهم مثل أذناب البقر"[٣٠] ، وهذا كناية عن الهـــروات التي تستورد خصيصاً من لا حلال السوط مكان الحوار فالقمع والكبت تحل محل الحرية والحوار وهذا ما دفع الأنظمة في العالم الإسلامي إلى التركيز على الشرطة والإكثار منها. للمحافظة على مصالحهم الشخصية.

١٠)شراء الذمم بالذهب والمال

ومن الأمور التي أدت إلى انحطاط المسلمين في هذا العصر وحرفت عن معناها شراء الذمم بالذهب والفضة ، فالأصل أن المسلمين كانوا يأخذون حقوقهم من بيت مال المسلمين بلا منة مـــن أحد ، ولكن أصبحت في عصرنا الحاضر ثمن دينهم وأخلاقهم فهي رشوة من الحاكم يشـــتري بهـــا الناس كما قال رسول اللهﷺ:(ولكنها –أي الأعطيات– توشك أن تكون أثمان ديـــنكم فدعوها إياهم)[٣١]، فهذا الحديث يشير صراحة إلى أن أموال الأمة ستعطى من الحاكم للرجال والنساء مقابل دينهم، فكم من كاتب يكتب في صحيفة يمجد فيها النظام مقابل دراهم معـــدودة، وكم من مدرس في جامعة يتبنى فكرة كان هو ضدها مقابل مبلغ من المال، وكم

٢٨ مختصر صحيح الإمام مسلم للمنذري : ٣٦٨ .
٢٩ المصنف لابن أبي شبيه ، ج٨ :٥٩٥ .
٣٠ المستدرك للحاكم ، ج٤ : ٤٣٥-٤٣٦.
٣١ المصنف ، ج٨ :٦٣١.

من سياسي ذي مواقف، انحرف طمعاً بدراهم معدودة. وهذا والأمثلة على هذا الجانب كثيرة لا مجال لذكرها هنا.

الجانب العسكري :

١. أمـا فـي الجانـب العسكري فأذكر مثالاً على تحريف النصوص الشرعية واعتبارها جـريمة وإحلال ألفاظ تناسب الكفر والإلحاد مكانها يقولﷺ:(إن أول ما تغلبون عليه مـن الجهـاد، لجهاد بأيدكم ، ثم الجهاد بألسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم، فأي قلب لم يعرف المعروف ولا ينكر المنكر نكس، فجعل أعلاه أسفله)[٣٢]، وفي رواية (من أشراط الساعة سـوء الجـوار ، وقطـيعة الأرحـام ، وتعطيل السيوف عن الجهاد، وان تختل الدنيا بالـدين)[٣٣]، وفـي روايـة (لا يـزال الجهاد حلواً خضراً ما أمطرت السماء وأنبتت الأرض، وسينشـأ نشوء من قبل المشرق يقولون: لا جهاد ولا رباط، أولئك هم وقود الـنار)[٣٤]، فالجهاد أصبح إرهابا وتعقد المؤتمرات وتشارك فيها الحكومات من مشارق الأرض ومغاربهـا لـتعلن الحـرب على الإرهاب، أي الحرب على الإسلام والجهاد، فالجهاد بالأيدي – أي السلام ممنوع ثم سيمنع من جهاد الكلمة كما هي الحال الآن حيث أن خطب الجمعة تكتب في مكاتب الأمن وما على الخطيب إلا أن يقرأها كما هو دون زيـادة أو نقصان، ثم الجهاد سيمنع ولو لمجرد التفكير به، كما يحصل الآن. هل تفكر بالجهـاد؟. وفـي الأحاديث الأخرى إشارة واضحة إلى تعطيل الجهاد بالسيف، ولكن الجهـاد ماض إلى يوم القيامة، ثم يركز الحديث الأخير على أن مجموعة من أصحاب القرار سواء أكانوا علماء أو مفكرين أو حكاماً سيصدرون فتاوى تمنع الجهاد في سبيل الله، كمـا حصـل في عام ١٩٨٩ في مؤتمر دكار بالسنغال حيث أصدروا فتوى بمنع الجهاد في سبيل الله.

٢. الوهن بدل العزة

ومـن مظاهر الانحراف والتبديل الوهن مكان العزة حيث يقولﷺ: "يوشك أن تداعى عليكم الأمـم مـن كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها ، قال : قلنا يا رسول الله! أمن قلة بنا

---

٣٢ المصنف ، ج٨ : ٦٦٧ .
٣٣ كنز العمال ، ج٤ : ٣٢٨ .
٣٤ كنز العمال ، ج٤ : ٣٢٨ .

يومـــئذ؟ قـــال:" أنـــتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عـــدوكم، وتجعـــل فـــي قلوبكم الوهن". قال: قلنا : وما الوهن؟ قال : "حب الدنيا وكراهية الموت"[٣٥].

المطلب الثاني

الجانب الفكري

ركـــز الإســـلام على الفكر من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة حيث وردت كلمـــة العقل ومشتقاتها في القرآن أكثر من ثلاثمائة مرة ولذا نجد العالم الغربي أيقن أنـــه لـــن يســـتطيع أن يهزمنا بالقوة العسكرية فلجأ إلى الجوانب الفكرية حتى يعيد صياغة عقولـــنا صـــياغة غـــربية وهذا ما حصل من خلال عملية الاستشراق والتغريب والعلمانية وطـــرح قضايا تشكك المسلمين بدينهم وفيما يلي استعرض بعضاً من الجوانب التي حرفت عن معناها الشرعي .

١) تصديق الكاذب وتكذيب الصادق

قالﷺ: (سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فـــيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة. قيل ومن الرويبضة . قال : الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)[٣٦]، فأصبح الكاذب صادقاً والصادق كاذباً ، والخائن أميناً والأمين خائـــناً فتغيـــرت المعايير وتبدلت ، فأصبحت تجارة الكذب والخيانة هي السائدة في عصر الانحطـــاط ، وأصـــبح الصدق والأمانة عملة نادرة، وأصبحت نظرية ميكافلي هي السائدة: الغاية تبرر الوسيلة، ثم اكذب ثم اكذب ثم اكذب حتى يصدق الناس.

٢) أن يكون القرآن والإسلام عاراً :

قالﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يجعل كتاب الله عاراً ، ويكون الإسلام غريباً)[٣٧] ، وفي رواية (ســـتكون فـــتن يفـــارق الرجل فيها أخاه وأباه تطير الفتنة في قلوب الرجال منهم إلى يوم القيامة حتى يعير الرجل فيها بصلاته كما تعير الزانية بزناها)[٣٨] ، ويقولﷺ: (ليأتين على

---

٣٥ مسند الإمام أحمد ٢١٣١٦٣ ،وسنن أبي داود ، ج٣ : ١١٥ .
٣٦ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، ج٤ : ٥٠٨ ، روانظ صحيح ابن ماجه ، ج٢ : ٣٧٤ .
٣٧ مجمع الزوائد ، ج٣٢٤:٧ ، وانظر كنز العمال ، ج١٤ : ٢٤٤ .
٣٨ كنز العمال ، ج١٤ : ١٨٠ .

الناس زمان يعير المؤمن بإيمانه كما يعير اليوم الفاجر بفجوره حتى يقال لرجل : إنك مؤمن فقيه)[٣٩] .

ففـــي عصـــر الانحطـــاط يعير الرجل بإيمانه وقرآنه وصلاته، بل يحارب الإيمان والقرآن وتجيش الجيوش لذلك، فالقرآن الذي جاء رحمة للأمة أصبح عاراً، والصلاة التي فيها راحة المؤمن أصبحت مصدر إرهاب للدول، فلذلك نجد أن من يتمسك بالإيمان والقرآن والصلاة يطلق عليه الكثير من الأوصاف التي تنعته بأنه رجعي، إرهابي، أصول ، متزمت، متخلف، قـــالﷺ: (مـــن اقتـــراب الساعة أن ترفع الأشرار، وتوضع الأخيار، ويفتح القول، ويخزن العمـــل وتقرأ المثناة ليس فيهم أحد ينكرها قيل: وما المثناة؟ قال: ما اكتتب سوى كتاب الله عـــز وجـــل)[٤٠]، وفي رواية (ويستبدل فيها الشعر بالقرآن)[٤١] فالشعر يعقد له مهرجانات، والغـــناء كـــذلك، ويقبل الناس على الصحف وأجهزة الإعلام وأنواع العلوم والمعارف ولا يكادون ينظرون في القرآن.

٣) الإرهاب الفكري بدل الحوار

يقولﷺ: (يا قيس! عسى إن مر بك الدهر أن يليك بعدي ولاة لا تستطيع أن تقول بحق معهم)[٤٢]، فالأصل أن يكون المسلم معبراً عن رأيه ناصحاً لمجتمعه وهذا ما كان يحصل في صـــدر الإســـلام، ولكن تبدلت الأمور وحرفت النصوص الشرعية على أيدي الولاة فأصبح الإرهـــاب الفكـــري هو الأساس فلا يجوز لأي أن يفكر إلا بفكر الحاكم ، ولا أن يخالف له رأياً صغيراً كان أم كبيراً ، وهذا الكبت هو الذي يؤدي إلى الانحطاط والانحراف عن منهج الله.

ثم إن الإرهاب الفكري يؤدي إلى قتل العلماء والمصلحين وتشريدهم ومحاصرتهم كما قـــال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يأتي على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما تقتل الكلاب)[٤٣]، وهذا هو السائد فحتى يسيطروا على الأمة لا بد لهم من قتل العلماء والمفكرين

٣٩ الفتن لابن جماد : ٢٣ .
٤٠ المستدرك للحاكم ج٤ : ٥٥٤ .
٤١ كنز العمال ، ج ١١ : ١٨٧ .
٤٢ كنز العمال ، ج١١ : ١٩٠ .
٤٣ كنز العمال ، ج١١ : ١٩١-١٩٢ .

والمخلصـــين وهم صفوة المجتمع حتى لا تبقى إلا حثالة كحثالة الشعير ، ورحم الله الإمام الغزالي الذي قال : لولا العلماء لكان الناس كالبهائم).

والإرهاب الفكري أدى ببعض العلماء إلى الركون إلى الأمراء خوفاً وطمعاً بما عندهم كما قالﷺ: (من اقتراب الساعة ... وركن علماؤكم إلى ولاتكم فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأمنوهم بما يشتهون وتعلم علماؤكم ليجبلوا به دنانيركم ودراهكمكم واتخذوا القــرآن تجارة)[44]، فأحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال ، واتخذوا الإسلام تجارة حتى يحصلوا على طعام الدنيا الزائل.

٤) التنظير لا العمل :

ومـــن عوامل التخلف عند المسلمين وتحريف الكلم عن مواضعه التنظير بدل العمل، فالأمة التي تريد أن تتقدم تعمل بكل طاقتها وفي شتى المجالات ولكنها إن اكتفت بالقول دون العمل فهـــو الـــتخلف بعينه يقولﷺ: "من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القـــول ويحـــبس العمـــل)[45]، فالأقـــوال كثيرة وخطط التنمية المكتوبة على الأوراق هائلة والتطبيق العملي قليل ، والإيمان بالقلب ولا حاجة للعمل .

٥) الجاهلية لا الأصالة

ومن التغيير والتحريف إنكار الأحاديث النبوية ومحاولة قطع صلة المسلمين بالقرآن والسنة، ونعـــتها بالرجعية والتأخر ، حتى أراد البعض بأن يأخذ بالحضارة الغربية حلوها ومرها ، غثها وسمينها بل نجد بعض المسلمين من ينكر السنة النبوية ، ويطعن بها يقولﷺ: (يوشك الـــرجل متكئاً على أريكة يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وإن ما حرم رسول اللهﷺ مـــثل مـــا حرم الله)[46]، فهذه الفئة التي ستنكر حديث النبيﷺ وصفها بأنها متكئة على الأرائك وهذا دليل الشبع والراحة والترف بل وجدنا دولاً تنكر سنة النبيﷺ.

٦) الخمر وتسمى المشروبات الروحية

٤٤ كنز العمال ، ج١٤ : ٢٤١ .
٤٥ كنز العمال ، ج١٤ : ٢٤٢ .
٤٦ صحيح سنن ابن ماجه ، ج١ : ٧ .

ومـــن التغييـــر والتحريف للمصطلحات الشرعية الخمر الذي حرمه الله ورسوله فأصبحت تسمى مشروبات روحية قالﷺ: " ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ويعزق علـــى رؤوســـهم بالمعـــارف والمغنـــيات يخســـف الله بهـــم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازيـــر)[47]، بل سيكون أناس من المسلمين من يستحلونها وهي محرمة عليهم بحجة أنها تأتي إليهم بالعملة الصعبة ، وتدعم السياحة وتدر عليهم دخلاً قومياً قالﷺ: "ليستحلن طائفة مـــن أمتي الخمر باسم يسمونها إياه، وفي رواية يسمونها بغير اسمها"[48]، بل إن الأمراء هم الذين سيعينون الناس على شربها وذلك بإباحتها وتشجيعها ومحاربة من يحاربها حتى يلهو الناس بها ويسكتوا على مصائب الأمة قالﷺ:" ستشرب أمتي من بعدي الخمر يسمونها بغير اسمها يكون عونهم على شربها أمراؤهم"[49].

المطلب الثالث

الجانب الاقتصادي

و فيما يلي استعرض بعضا من جوانبه من خلال أحاديث النبيﷺ.

كثرة المال و عدم الرضا:

يقول النبيﷺ: " أعدد بين يدي الساعة ستا ....، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فـــيظل ساخطا".([50]) و في رواية: " و أن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها " ([51]) و في هذا دلـــيل على استفاضة المال كما هو ملاحظ الآن و لكن يقابله عدم الرضا من قبل الناس فلا أحد يكتفي بما عنده بسبب تكاليف الحياة و الضرائب التي تفرض على الشعوب .

إعطاء المال على الكذب :

قـــالﷺ:" إذا رأيـــتم الدم يسفك بغير حق، و المال يعطى على الكذب و ظهر الشك و التلاعن، وكانت الردة فمن استطاع أن يموت فليمت ". ([52])

---

٤٧ صحيح ابن ماجه ، ج٢ : ٣٧١ .
٤٨ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ، ط١ : ١٧٩ ، ١٨٢ .
٤٩ كنز العمال ، ج٥: ٣٤٨ .
٥٠ البخاري ٢٩٤٠.
٥١سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٤ : ٥٠٥.
٥٢الفتنه لابن حماد ٤٦.

فالــذي يكــتب تقريرا بمن حوله كاذبا، يعطى المال، و هذا منتشر في عصرنا الحاضر، فالمال يعطى على الكذب، الكذب في التقرير، و الكذب في الخطاب، و الكذب في المقال، و الكذب في الندوة ... الخ، وهذه هي الوطنية المحرفة.

انتشار الذهب عند النساء

يقــول ﷺ:" إنكــم إذا ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم، وسوف تبتلون بفتنة السراء، وإن أخوف ما أتخــوف عليكم فتنة النساء إذا تسورن الذهب ولبسن ريط الشام، فأتعبن الغني وكلفن الفقيرما لا يجــد"(٥٣) فتغيرت المفاهيم فأصبح لبس الذهب والملابس والأثاث هو الأساس، و هذا ما يؤدي إلــى إرهــاق الغنــي والفقيــر معــا، وهذا أدى إلى العزوف عن الزواج، مما تولد عنه الفساد الأخلاقي، وفيه حبس للثروة وتجميدها حتى لا تستغل في بناء الاقتصاد.

الردة من الجوع:

التبشــير ومؤسســاته التــي تنتشر في العالم الإسلامي و التي تعنى الكفر و الردة عن الإســلام حيث يكون مع هذه المؤسسات الإنجيل باليمين و الخبز بالشمال فمن ارتد من المسلمين أطعمــوه و إلا حــرموه وهذا ما قال عنه النبيﷺ: " ليصيبن أهل الإسلام البلاء و الناس حولهم يرتعون ، حتى إن المسلم ليرجع يهوديا أو نصرانيا من الجهد" (٥٤) و هذا ما يلاحظ ألان فالعالم الصليبي اليهودي يعيش في رخاء مادي، و المسلمون يعيشون في ضنك و شدة، لا لأن المسلمين فقــراء، بل لأن أموالهم عند اليهود و النصارى، فيضطر المسلم من الجوع و بسبب الجهل إلى الــردة عــن الإسلام، ليتحول يهوديا أو نصرانيا كما كان في مخططات المؤسسات التنصيرية، تنصير قارة أفريقيا و إندونيسيا عام ٢٠٠٠ م.

ثم أدى هذا إلى زواج المسلمين من غير المسلمات حيث ارتد أبناؤهم و بناتهم من أجل لقمــة الطعــام قــالﷺ: " لا تقوم الساعة حتى ترجعوا حرائثين، وحتى يعمد الرجل إلى النبطية فيتــزوجها على معيشته و يترك بنت عمه لا ينظر إليها " (٥٥) وهذا ملاحظ الآن، حيث يتزوج المسلم من اليهودية، أو النصرانية طمعا في الحصول على الإقامة، أو الجنسية، مما يؤدي بالكثير منهم إلى الردة عن دينهم، و نتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية في العالم الإسلامي، أصبحت

٥٣المصنف ج٨ : ٦١٨.
٥٤الفتن لابن حماد ٢٦.
٥٥كنز العمال ج١٤ : ٢٤٥.

ثقافة قلة الأولاد هي السائدة، و تأخير سن الزواج هو السائد للظروف الاقتصادية الصعبة، حيث يقـول ﷺ: " إنكم في زمان يغبط الرجل فيه على كثرة ماله و كثرة عياله، و سيأتي عليكم زمان يغبط الرجل فيه على قلة عياله ". (٥٦)

ونتيجة للأوضاع الاقتصادية السيئة في العالم الإسلامي اضطرت المرأة للخروج للعمل مختلطة بالرجال مما أدى في حالات كثيرة إلى الدمار الأخلاقي و التفكك الأسري حيث يقول ﷺ: "إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، و فشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها " (٥٧)

و نتـيجة للأوضـاع الاقتصادية السيئة يصبح الرجل لا يبالي بالمال الذي يكتسبه أمن الحلال هو أم من الحرام، يقول ﷺ: "يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام"(٥٨) و كذلك نجد الدول الإسلامية و كثير من الأفراد من استحل الربا و سماه بغير اسـمه فأصـبح يطلق على الربا الفائدة الربوية، ثم انتشر و شاع قال ﷺ:"يأتي على الناس زمان يأكلون الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره"(٥٩).

المطلب الرابع

الجانب الاجتماعي

إن الإسلام اهتم بالجانب الاجتماعي اهتماما كبيرا قبل ولادة المولود، و عندما يولد، ثم عـندما يكـون الأسرة، ثم المجتمع، و لذلك نجد العالم الصليبي اليهودي ركز بشكل كبير على تدميـر الفرد، و الأسرة، و المجتمع في العالم الإسلامي، و يتجلى ذلك في كثرة المؤتمرات التي تـتكلم عن السكان، و المرأة، و الطفل، وعن القيم التي تسود العالم الإسلامي، ووجوب تغييرها مـن خلال الحكومات، و أجهزة الإعلام، و المدارس، و الجامعات، و فيما يلي أذكر بعضا من هذه الأمور

٥٦المعجم الكبير ج٩ : ١١٣.
٥٧مجمع الزوائد ج٧ :٣٢٩.
٥٨البخاري رقم ٢٠٨٣.
٥٩مسند أحمد ٢١٧٢٥.

التقليد الأعمى :

يقــول النبيﷺ:" لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم : قلنا يا رسول الله اليهود و النصارى ؟ قال : فمن" ([٦٠])

لقــد تغيرت المفاهيم فعندما كانت الأمة المسلمة هي القوية كان الغرب يقلد المسلمين، وعــندما ضــعف المسلمون أصبحوا هم المقلدون للغرب فالضعيف مولع بتقليد القوي ، فمن قلد العــالم الغربــي فهو متحضر و من تمسك بالإسلام فهو متخلف ، فإذا تعرت المرأة في الغرب فــنحن مقلــدون، و إذا شربوا الخمور فنحن كذلك، حتى قال النبي ﷺ: " و حتى لو ضاجع أمه بالطريق لفعلتم "([٦١]).

التعري عند النساء:

فالتعــري هو الحضارة و الرقي ،والستر هو التخلف و الجمود ، يقولﷺ: "صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، و نساء كاسيات عاريات ممــيلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة و لا يجدن ريحها و إن ريحها ليوجد من مسيرة كذا و كذا"([٦٢])، هذا و قد رسخت أجهزة الإعلام التي تتلقى التعليمات من دول الكفر و الفساد هذا المفهوم من خلال ما يعرض على شاشات التلفزيون و في المجلات.
و الجــرائد و الشــوارع حتى أصبح الأمر مألوفا بينما قبل سنوات كان الأمر مستهجنا ، بل إن فطرة الرجال قد ماتت فالأب الذي يمتاز بالرجولة تجده يذهب للصلاة و خلفه ابنته كاسية عارية، ولا يملك من أمره شيئا.

و يشــير النبيﷺ في حديث آخر فيقول: "كيف بكم أيها الناس إذا طغى نساؤكم و فسق فتيانكم "([٦٣]) و الطغيان هو تجاوز الحد، و الفسق هو الانحراف عن منهج الله، فكل من خرج عن طاعــة الله فهــو طاغ فاسق، و إن كان في نظر البعض بأنه متحضر ، فاللباس الشرعي عنوان التخلف و الجمود، وهو يعيق العمل بل و يسعى الكثير من الناس إلى استصدار فتاوى تجيز عدم

٦٠صحيح الإمام مسلم ٤٨٢٢.
٦١سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٣ :٣٣٤.
٦٢مختصر مسلم:٥٢٦-٥٢٧.
٦٣جامع الأصول ج١٠ :٤١٢.

اللـــباس الشرعي، هذا و قد أشار النبيﷺ في بعض الروايات إلى أن الأفخاذ ستبدو في الشوارع متكشفة متعرية .

ثـــم تبع ذلك الغناء و الرقص فهو عنوان التقدم و الرقي، فالمؤتمرات و المهرجانات و المســـابقات التي تقام لاختيار المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات فهو الفن، بل و أصبح يطلق عليهم نجوم الفـــن، يقولﷺ:"ليكـــونن من أمتي أقوام يســـتحلون الحر و الحرير و الخمر و المعـــازف "([٦٤]). فالحـــديث يشـــير صـــراحة إلـــى استحلال الزنا والحرير للرجال والخمر والمعازف.

ثـــم ذكرت أحاديث أخرى تشبه الرجال بالنساء و النساء بالرجال لباسا و مشية وزينة حتى قالﷺ: "ليس منا من تشبه بالرجال، ولا من تشبه بالنساء من الرجال"([٦٥])

و قـــد ذكر في بعض الروايات أن الرجل سيتزين بزينة المرأة لزوجها فأصبح الرجل يتزين بزينة المرأة يضع القرط في أذنيه و الأساور في يديه و الطوق في عنقه ... الخ.

تحرير المرأة :

لقد أصبحت قضية المرأة تثار صباح مساء و تتبنى إثارتها أجهزة الإعلام و حصل هذا منذ سنوات طويلة عندما قام قاسم أمين بإصدار كتابه تحرير المرأة، و الذي يعني تحريرها من ديـــنها و عفـــتها و شـــرفها و خلقها و عندما ذهب إليه بعض الصحفيين لمقابلة زوجته قال إن زوجتي لا تقابل الرجال، و هذا دليل على أنه غير مقتنع بما يقوله ولكن الذهب و الفضة يجعلان القلم يكتب بما لا يعتقد .

فأصـــبح تقديم المرأة في المخاطبة في الإذاعة و التلفاز و في المؤتمرات كما ذكر ذلك فـــي الأحاديـــث، و حتـــى تكون المساواة بين الرجل و المرأة، فأصبحت المرأة موجودة في كل مكان، و إلا فهي مظلومة، فيجب أن تكون في الرياضة، و ركوب الخيل، و الجيش، و الغناء ... الـــخ كما قالﷺ:" و الذي بعثني بالحق لا تنقضي الدنيا حتى يقع بهم الخسف و القذف و الرجف ".قالوا و متى ذاك يا رسول الله ؟ قال:" إذا رأيت النساء ركبن السروج، و كثرت القينات و فشت شهادة الزور، و استغنى الرجال بالرجال و النساء بالنساء"([٦٦]).

٦٤البخاري : كتاب الأشربة ٥٤.
٦٥مسند أحمد ٦٥٨٠.
٦٦مجمع الزوائد ج٨ . ١٠.

١١)الزنا و الشذوذ :

علاقة الرجل بالمرأة يجب أن تكون منفتحة غير مقتصرة على الزواج كما يقول الغربيون و مؤتمر المرأة في بكين أقر هذه الأمور بل أباح زواج الجنس الواحد، و يجب أن يكون الرجال و النساء أحرارا في إقامة أي علاقة جنسية خارج إطار الزواج الشرعي، و يجب محاربة من يقوم بمعارضة أو إرهاب أو تخويف من يعارض ذلك.

قيل لرسول الله ﷺ: " أنهلك و فينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث"([٦٧]) ويقول ﷺ: "إن من أشراط الساعة ... و يفشوا الزنا"([٦٨])

بل إن الحياء سيرفع فلا يتورع الناس عن ممارسة الفاحشة على قارعة الطريق يقول ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمر". قلت و إن ذلك لكائن ؟ قال:" نعم ليكونن"([٦٩]).

و هذا هو السائد في العالم الغربي و بدأت تصدر تعليمات للدول العربية و الإسلامية بالسماح و التشجيع على ذلك .

و عندما ينتشر الزنا يكثر أولاد الزنا و لذلك نجد الدول قد بنت قرى لأبناء الزنا لرعايتهم و الاهتمام بهم، ثم أصبحت الدول و أجهزة إعلامها تشجع على الشذوذ الجنسي و سنت له قوانين و أنظمة و اعتبرته من حقوق الإنسان لا يصح منعه من حقه مما ترتب على ذلك ابتلاء الله لهم بالإيدز و غيره من الأمراض يقول ﷺ: "واستغنى الرجال بالرجال و النساء بالنساء " ([٧٠])

تحديد النسل و قتل الأولاد:

إن العالم الغربي يشجع المرأة على الإنجاب ، و في عالمنا العربي يشجعون النساء على قلة الإنجاب ، لذا نجد عيادات تنظيم النسل في كل مكان و نجد أن أجهزة الإعلام تصور الأسرة التي تتكون من مجموعة أفراد على أنها أسرة فوضوية فقيرة متعثرة ، بينما المسلسلات تصور الأسرة النموذجية تتكون من ولد أو بنت و هذا هو التحريف ذاته ، بالإضافة إلى العمل على تأخير سن الزواج في البلاد الإسلامية بسبب الظروف الاقتصادية المتردية حتى تشيع الفاحشة و

٦٧فتح الباري ج١٤ : ٥٠١.
٦٨المعجم الكبير للطبراني ج٩ : ١١٩، وانظر البخاري :٧٩ ، و الترمذي ٢١٣١.
٦٩سلسلة الأحاديث الصحيحة ج٢ : ٨٦٧ ، و انظر ابن حيان ج١: ٢٦٩.
٧٠المستدرك للحاكم ج٤ : ٤٣٧، و انظر مجمع الزوائد ج٧ : ٣٣١-٣٣٢ .

الإجهــاض قال النبيﷺ:"لتؤخذن المرأة فليبقرن بطنها ثم ليؤخذن ما في الرحم فلينبذن مخافــة الولد " ([71]) .

و النبـــيﷺ:"لا تـــزال أمتي بخير ما لم يغش فيهم أولاد الزنا، فإذا فشا فيهم ولد الزنا فيوشك أن يعمهم الله عز وجل بعقاب " ([72])

و يترتب على الإجهاض قلة الولد حيث قال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظا ....".

71المصنف لابن أبي شيبة ج8 : 621 .
72مسند أحمد ح6 : 333 .